ISSN: 2090 – 0449 Online
Type of License: CC BY-NC-ND
DOAJ API documentation: 359c88a5cecf4f7faa1c2f538c431346

الكهف بين الحياة والموت
في عصور ما قبل التاريخ

د. زينب عبد التواب رياض

مدرس الآثار المصرية القديمة
كلية الآثار – جامعة أسوان
أسوان – جمهورية مصر العربية

مُلَخّصْ

الكهوف هي الملاجئ والملاذات الأولى للإنسان الأول، وقد عثر على كثير من الأدلة الأثرية التي تدل على استيطان الإنسان للكهوف كالرسوم الصخرية، وبقايا الأدوات الحجرية. كانت الكهوف بالنسبة للإنسان الأول بمثابة الكتاب مفتوح الصفحات، والذى قام بتسجيل حياته على جدرانه بطريقة مرسومة غير مكتوبة، ولا شك في أن فن التصوير كان في البداية سحريًا وشعائريًا ثم تطور بعد ذلك وأصبح وسيلة من وسائل نقل الأفكار والمعلومات، فلقد اعتبرت الفنون البدائية جزء من الميراث الإنساني إذ كانت تتسم بنظام قوى يخضع لمعايير اتسمت بالصبغة المقدسة وكان لكل مجتمع من المجتمعات البدائية فنونة المميزة له وبالتالي هويته الخاصة به. فلقد كانت الكهوف تشكل الجو النفسي الملائم للعبادة والممارسات السحرية، والتي وضحت من خلال الرسوم والنقوش الصخرية التي خلفها الإنسان الأول سواء في الكهوف أو بالنقوش الصخرية. وكان الدارسون لهذا الفن القديم قد اعتبروا لأول وهلة فن الكهوف عبارة عن رسم زخرفي غير معبر عن معان تركيبية إيحائية أو تعبيرية. لكن بعدما توالت الاكتشافات لهذه الأعمال الفنية بالكهوف والصخور اختلفت النظرة الفنية لهذا الفن القديم. ولقد أصبحت دراسة فن الكهوف علمًا موجودًا ومثارًا، حيث توالت الاكتشافات لهذا الفن في مواقع عديدة، ولست بصدد الحديث عن فن الكهوف تفصيلاً، وإنما أحاول إلقاء الضوء على أهمية الكهف ودوره الديني والدنيوي في حياة أناس ما قبل التاريخ. وقد قصدت هنا الحديث عن الكهوف وأهميتها باعتبارها مرحلة أولى في حياة الإنسان الذى جعل من الكهف حياة بكل ما تعنيه الكلمة، فقد عاش فيه حياته ومارس فيه طقوسه وعباداته ثم دفن فيه، وثبت ذلك من خلال عرض نماذج عدد من الكهوف في مصر وشمال أفريقيا والشام والعراق.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٥ فبراير ٢٠١٥
تاريخ قبول النشر: ٢٢ يونيو ٢٠١٥

كلمات مفتاحية:

فن الكهوف، العصر الحجري، الحضارات الأولى، العالم القديم، الإنسان البدائي

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

زينب عبد التواب رياض. "الكهف بين الحياة والموت في عصور ما قبل التاريخ".- دورية كان التاريخية.- العدد الثلاثون؛ ديسمبر ٢٠١٥. ص ٩ – ١٨.

مُقَدِّمَة

شكلت الكهوف خطوة هامة في حياة الانسان البدائي إذ مثلت بالنسبة له السكن والسكينة، فقد عاش فيها ومارس فيها حياته بكل صورها، واتخذ من جدرانها صفحات عبر فيها عن نفسه برسوم متنوعة وإشارات مختلفة، ومارس فيها شعائره وطقوسه ثم دفن فيها لتصبح مثواه الأخير. وقد كان الكهف موضوعًا يتردد في الأساطير والعقائد البشرية، فللكهف من حيث هو تكوين مادي قدرة فريدة على إثارة خيال الإنسان وهى قدرة تتجلى بصورة متكررة في ضروب شتى من أساطير الإنسان وفنونه وآدابه، فمنذ عصور ما قبل التاريخ والكهف هو المكان الملائم للوحي وللرؤيا ولا أدل على ذلك من الرسوم الجدارية التي حوت مناظر أقرب للروحانية، تنوعت ما بين هيئات آدمية ضخمه صورت بشكل يثير الرهبة في النفوس ومناظر لبشر يرتدون ملابس غريبة ومناظر أخرى لبشر في وضع السباحة وهيئات اخرى يصعب أن تفسر بأنها

انعكاس للواقع فهي أقرب لأسطورة والخيال ومن ثَمَّ يمكن اعتبار الكهف عالم مظلم في طياته عاش الانسان حياته الأولى، ثم عبر على جدرانه عن حياته الأخرى التي تنتظره والتي صورها كيفما شاء خياله، فالكهف هو المكان الذى يلجأ إليه الإنسان طالبًا للأمان، ومدخلاً مفضلاً ينتقل به خيال الانسان من العالم الطبيعي إلى عالم ما فوق الطبيعة. ويمكن القول إجمالاً إن الكهف بالنسبة للإنسان الأول كان هو المسكن والمعبد والبيت الأخر.

١ـ تمهيد

١/١- تعريف الكهوف:

الكهوف هي الملاجئ والملاذات الأولى للإنسان الأول، وقد عُثر على كثير من الأدلة الأثرية التي تدل على استيطان الإنسان للكهوف كالرسوم الصخرية، وبقايا الأدوات الحجرية. والتعريف الشائع للكهف: هو أي فجوة صخرية ذات فتحة تسمح بدخول الإنسان إليها. أما التعريف العلمي للكهف: فهو أي فتحة في الصخر يتراوح قطرها ما بين (٥ - ١٥م)، أو بأنها فتحة طبيعية تحت الأرض وفي صخرة بحيث تكون واسعة للحد الذي يسمح بدخول الإنسان إليها.[١]

٢/١- إنسان الكهف:

يعتقد العلماء أن الإنسان الذى عاش في الكهوف واستخدم الأدوات الحجرية، لم يكن إنسانًا بدائيًا، وبالتأكيد لم يكن نصف قرد، والدلائل الحفرية واضحة جدًا فأناس الكهف كانوا بشرًا – أناس يعيشون في الكهوف. وقد استخدم مصطلح إنسان الكهف للإشارة إلى إنسان نياندرتال،[٢] وهو نابع من افتراضات حول علاقة الإنسان الأول بالكهوف، والتي تجلت واضحة في رسوم الكهوف. ولقد صُوّر رجال الكهوف على أنهم يرتدون جلود حيوانات فكان الثوب عبارة عن قطعة من الجلد معقودة حول كتف واحد، وكانوا مسلّحين بالحجارة أو عظام الحيوانات أو هراوة هرمية الشكل، ويتّصفون بقلة الذكاء والعدوانية. هذا وقد كانوا يعيشون في الكهوف ومن ثَمَّ كانت الكهوف أكثر الأماكن التي اكتشفت فيها الرسومات التي تمثّل طقوس حياة الإنسان الأول ووجدت فيها آثار تمثل حضاراتهم، ويرجع ذلك إلى أن درجة محافظة الكهوف على الآثار أعلى من غيرها من الأماكن، كونها أماكن مغلقة ولا تتأثر كثيرًا بعوامل الطبيعة، لذا فهي تعتبر ملجأ نموذجيًا.

٣/١- البدايات الأولى لظهور الفكر الديني عند الأنسان الأول:

اعتمد الأنسان الأول على الطبيعة بشكل، وهناك أمور عدة لعبت دورًا هامًا في حياة وفكر ومعتقدات هذا الإنسان،[٣] وتمثلت تلك الأمور فيما يلى:

- النار.[٤]
- الحيوانات.
- المرأة.
-الأسلاف أو الأجداد.[٥]

كانت البدايات الأولى لظهور الفكر الديني عند الأنسان الأول قد ظهرت منذ العصر الحجري الأوسط ١٠٠.٠٠٠ قبل الميلاد، على يد أنسان النياندرتال الذي اكتشف النار، ويعتقد أن الأنسان قد عبدها باعتبارها أحد عناصر الطبيعة التي أثرت فيه واستفاد منها في الحماية والدفء والطهي. ويعتقد العلماء أيضًا أن الأنسان قد عبد الحيوانات، وذلك لأن الحيوان هو الكائن الحي الذي ينافسه في الحياة ويحيا معه على خيرات الطبيعة، فكان لابد من السيطرة عليها والتحكم بها ثم عبادتها، فعبد الأنسان الحيوانات خوفًا منها ومن قوتها التي تفوق القوة البشرية، أو حتى طمعا في لحمها وجلدها واستخدمها في الزراعة، ومن الحيوانات التي عبدها الغزال والثور والماعز والأفعى التي تحمل رموز جنائزية والطيور الجارحة.

أما عبادة الربة الأم،[٦] فقد كان لها شكلاً خاص باعتبارها أحد أهم الرموز للخصب والأمومة والتكاثر البشري واستمرارية الحياة، وكانت البدايات الأولى بالاهتمام بالمرأة منذ العصر الحجري القديم عن طريق مجموعة من الدمى والتي مثلت (فينوس)، كما ظهرت على جدران الكهوف في أوروبا كرسوم تصويرية، وجاءت التماثيل الأولى للمرأة بشكل منفصل لأعضاء الأنثوية، أما الذكر فلم يحظى بالاهتمام التي حظيت به المرأة. أما فيما يسمى بعبادة الأسلاف أو الأجداد (عبادة الجماجم)، على اعتبار أن هذ العبادة تعنى بعبادة الأسلاف القائمة على الخوف من الأنسان الحي على اعتباره أنه مصدر السيطرة السياسية، أما الخوف من الميت فهو مصدر للسيطرة الدينية، فقد تم طلي الجماجم بالجص وأحيانًا بالأسفلت التي ظهرت في أريحا وكان الهدف الذي رمت إليه عبادة الأسلاف هو التجمع والتماسك حول مركز روحي معين وذلك باعتبار أرواح الموتى من الأمور المقدسة.[٧]

٤/١- فن الكهوف

كانت الكهوف بالنسبة للإنسان الأول بمثابة الكتاب مفتوح الصفحات، والذى قام بتسجيل حياته على جدرانه بطريقة مرسومة غير مكتوبة، ولا شك في أن فن التصوير كان في البداية سحريًا وشعائريًا ثم تطور بعد ذلك وأصبح وسيلة من وسائل نقل الأفكار والمعلومات، فلقد اعتبرت الفنون البدائية جزء من الميراث الإنساني إذ كانت تتسم بنظام قوى يخضع لمعايير اتسمت بالصبغة المقدسة وكان لكل مجتمع من المجتمعات البدائية فنونة المميزة له وبالتالي هويته الخاصة به.[٨] فلقد كانت الكهوف تشكل الجو النفسي الملائم للعبادة والممارسات السحرية، والتي وضحت من خلال الرسوم والنقوش الصخرية التي خلفها الإنسان الأول سواء في الكهوف أو بالنقوش الصخرية. وكان الدارسون لهذا الفن القديم قد اعتبروا لأول وهلة فن الكهوف عبارة عن رسم زخرفي غير معبر عن معان تركيبية إيحائية أو تعبيرية. لكن بعدما توالت الاكتشافات لهذه الأعمال الفنية في الكهوف والصخور اختلفت النظرة الفنية لهذا الفن القديم. ولقد أصبحت دراسة فن الكهوف علمًا موجودًا ومثارًا، حيث توالت الاكتشافات لهذا الفن في مواقع عديدة ولست

بصدد الحديث عن فن الكهوف تفصيلاً، وإنما أحاول إلقاء الضوء على أهمية الكهف ودورة الديني والدنيوي في حياة أناس ما قبل التاريخ.

٢ـ الكهوف في مصر وشمال أفريقيا

لم تبدأ الحياة الإنسانية في مصر على ضفاف النيل، وإنما قامت على الجبال والهضاب المنتشرة، حيث كانت الظروف الطبيعية القاسية تتحكم في الإنسان، وكانت وسائل حياته محدودة وبدائية. عاش الإنسان المصري حياة غير مستقرة، وتنقل من مكان إلى آخر بحثًا عن الغذاء، وسكن الكهوف واحترف صيد الحيوانات والطيور، وأعتمد على جمع البذور والثمار من النباتات والأشجار. كانت الكهوف هي المكان الأمثل الذى حوى دلائل وجود الحضارات الأولى لإنسان ما قبل التاريخ، من رسوم صخرية وأدوات حجرية وبقايا مخلفاته التي تركها ودلت على حياته بالمكان هذا بخلاف بعض الدفنات التي عُثر عليها في بعض الكهوف، وبحكم كونها أماكن مغلقة قلما تتعرض لعوامل التعرية والظروف الجوية استطاع فريق العمل الأثري التابع للمجلس الأعلى للأثار اكتشاف العديد من الكهوف في مواقع عدة في مصر حوت الكثير من اللقى الأثرية والدلائل الهامة التي توضح طبيعة حياة إنسان ما قبل التاريخ في مصر، وكان من بين هذه الكهوف:

١/٢- كهف سودمين

يقع في الصحراء الشرقية في منطقة وادى الجمال في البحر الأحمر وهى منطقة تحوى العديد من النقوش الصخرية، ويقع كهف سودامين على بعد (٣٥) كم غرب مدينة القصير.[٩] كان فن الصخور متبعًا لدى سكان الصحراء لاسيما بشمال أفريقيا.[١٠] فمنذ نهاية الألفية السادسة ومنتصف الألفية الرابعة قبل الميلاد كانت الصحراء الممتدة من غربي مصر وحتي شرقها يسكنها صيادو الأسماك والحيوانات ورعاة قطعان الماشية والأغنام. لأنها كانت مناطق مطيرة ينمو بها السفانا والغابات. وكانت موئلاً للحيوانات المفترسة والرعوية حيث كانت من أوائل المناطق التي استوطنها الإنسان الأول. وقد خلف الفنانون الأوائل الكثير من النقوش الصخرية التي ظهرت بها حيوانات انقرضت حاليًا من المنطقة منها البقر الكبير والأفيال والخرتيت وأفراس النهر. وهذا سببه انحسار المياه والأمطار وظهور التصحر هناك. ومناظر الحيوانات التي خلفها الفنانون الأوائل بهذه المناطق نراها طبيعية ومتناسبة ومتناسقة. وبدأت فيها صور السكان وهم متسلحون بالهراوات والعصي والبلط والأقواس ولم ير رماح بها.[١١] ولقد ظلت للصحراء أهميتها لدى المصري القديم، إذ اعتقد المصري القديم أن الصحراء التي لا نهاية لها إلى الغرب من وادى النيل كانت مدخلاً للعالم السفلى الذى تتم فيه إعادة ولادة الشمس والموتى من جديد.[١٢]

٢/٢- كهف وادى سنور

يعتبر كهف وادي سنور في محافظة بني سويف في مصر، أحد الكهوف الفريدة من نوعها، حيث إنه كهف طبيعي عمره (٦٥) مليون سنة، نتج من تأثير عوامل الإذابة على الحجر الجيري الأيوسيني الموجود في جبل سنور. وهو على بعد (١٢٥) كيلو جنوب العاصمة المصرية القاهرة، يمتد الكهف لمسافة (٧٠) متر تقريبًا، ويبلغ عمقه حوالى (١٥) مترًا. ويحتوي الكهف على تراكيب جيولوجية معروفه باسم الصواعد والهوابط في صورة مثالية جميلة، تكونت عبر ملايين السنين، نتيجة تسرب المحاليل المائية المشبعة بأملاح كربونات الكالسيوم خلال سقف الكهف، يتميز كهف "وادى سنور" كما أكد لإيلاف الدكتور مصطفي عبد العزيز، الخبير في هيئة المساحة الجيولوجية المصرية، أنه لا يوجد مثيل له في العالم سوى كهف في ولاية فيرجينيا في الولايات المتحدة الأمريكية.

٣/٢- جزيرة القرن الذهبى - الفيوم

أعلن المجلس الأعلى للآثار المصرية أن بعثة مصرية تابعة للمجلس عثرت أمام جزيرة القرن الذهبي شمال بحيرة قارون في الفيوم على مجموعة هائلة من أدوات الصيد والحياكة والحلي المصنوع من عظام الحيوانات التي ترجع لعصور ما قبل التاريخ، وكشفت البعثة أيضًا عن مجموعة من الكهوف التي استخدمها إنسان ما قبل التاريخ. وكان من أهم القطع التي عثرت عليها البعثة هي إبرة مصنوعة من عظم الحيوانات ومخرزها المصنوع من حجر الصوان مما يدل عل أن الإنسان القديم ابتكر طرقًا عديدة لحياكة الجلود، موضحًا إنه كشف أثناء أعمال الحفائر عن فقرات كثيرة لحيتان شبه كاملة على غرار ما جاء في منطقة وادي الحيتان في الفيوم.

وعُثر كذلك على حفرية لكلب البحر وسمك المنشار وأجزاء من تماسيح وترسًا بحرية، وأسماك وأسنان سمك القرش، وثلاثة هياكل مخففه لسلاحف، إلى جانب أدوات طبية مصنوعة من العظم وعقود من الجشمت الأخضر والأحمر الغامق ورؤوس سهام ومطاحن حجرية وسكاكين. وخلال عمليات التنقيب تم العثور في الربوة المرتفعة الموجودة في المنطقة على (٢٥) مقبرة صخرية جانبية وكميات كبيرة من العظام. وعثرت البعثة كذلك على بئر صخرية عمقها سبعة أمتار في مدخلها بقايا هيكل عظمي كامل لإنسان.[١٣]

٤/٢- الصحراء الغربية

تعتبر الصحراء الغربية جزءًا من أضخم نطاق صحراوي في العالم يضم الصحراء الكبرى الأفريقية ويمتد من المحيط الأطلنطي غربًا إلى البحر الأحمر شرقًا ولا يقطعه سوى وادى النيل كشريط طولي ضيق يفصل بين كل من الصحراء الغربية والصحراء الشرقية في مصر.[١٤] وتشتمل الصحراء الغربية على مساحة قدرها ٦٨١.٠٠٠ كيلومتر مربع أو أكثر من ثلثي مساحة مصر بأكملها،[١٥] وتمتد الصحراء الغربية المصرية – يطلق عليها بعض العلماء الصحراء الليبية – غربًا من وادي النيل إلى حدود ليبيا وجنوبًا إلى حدود السودان الشمالية.[١٦] هذا وهناك كهوف هضبة الجلف الكبير وجبل العوينات الذى يقع في أقصى الطرف الجنوبي الغربي

من الأراضي المصرية على الحدود المصرية الليبية، وتُعَدّ منطقة العوينات أحد أهم وأغنى مواقع رسوم ما قبل التاريخ في العالم حيث تنتشر في محيط المنطقة ما يقارب (٤٠٠٠) لوحة جدارية تتميز بتنوع مواضيعها وجمال ألوانها ورسوماتها التي تعود أغلبها إلى العصر الحجري الحديث، وهي تشتمل على العديد من الرسوم الادمية والحيوانية أيضًا.[١٧]

٥/٢- كهف الوحوش

أطلق عليه هذا الاسم لما جاء به من رسوم تمثل حيوانات متوحشة مختلفة ومتعددة الأشكال.[١٨] يقع الكهف على بعد عشرة كيلومترات من "كهف السباحين"،[١٩] وهو كهف ناء حوى العديد من الرسوم لأشكال بشرية راقصة وحيوانات غريبة بلا رأس ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ، اكتشف الكهف سنة ٢٠٠٢ بالصدفة، وقد بلغ إجمالي عدد الصور به إلى نحو (٥٠٠٠) صورة مرسومة بالألوان أو محفورة على الصخر في الصحراء الشاسعة غير المأهولة القريبة من الحدود الجنوبية الغربية لمصر مع كل من ليبيا والسودان.[٢٠] وكانت مطبوعات اليد هي أهم ما ميز الرسوم الصخرية البدائية في هذا الكهف، ولربما كانت تعنى اسم صاحبها أو هي مجرد إشارة إلى مرور الإنسان القديم بهذا المكان وترك علامة تدل على وجوده.[٢١]

٦/٢- كهف السباحين

يقع كهف السباحين جنوب غرب مصر بالقرب من الحدود المصرية الليبية في منطقة الجلف الكبير. ظهرت الهيئة البشرية في رسوم كهف السباحين بملامح لها دلالات متعددة، رافعة يديها وقدميها بطريقة مقوسة للأمام والخلف مما دعا الباحثين إلى تمثيل ذلك بهيئة السابحين، واتخذت تلك الرسوم البشرية النمط الخطي في تنفيذها فكانت أشبه بخيوط رفيعة غير واضحة الملامح،[٢٢] ولربما كانت البيئة في ذلك العهد البعيد تحوى مجرى مائي استطاع الإنسان القديم أن يصوره ويتخيل عبوره له سابحًا فيه، إذ يصعب تصور عكس ذلك – من وجهة نظر الباحث لاسيما في تلك الحقبة البعيدة. وتُعَدّ منطقة جبل العوينات بكهوفها هذه ملفًا للإنسان الأول، سجل فيه بصمته للعالم برسوماته التي حوت العديد من الألغاز والطلاسم ذات الصبغ المقدسة.

٧/٢- كهوف تاسيلي

في سلسلة جبال تاسيلي التي تقع بين الحدود الليبية والجزائرية وبالضبط في قلب منطقة "جبارين" حيث الصحراء قاحلة والمناخ شديد الحرارة، وتتكون كهوف تسيلي من مجموعة من تشكيلات الصخور البركانية والرملية الغريبة الشكل والتي تشبه الخرائب والأطلال، وتعرف باسم الغابات الحجرية"، وتوجد الكهوف فوق هضبة مرتفعة تبلغ (٥٠٠م) فوق سطح البحر، يجاورها جرف عميق في منطقة تتواجد بها نسبة كبيرة من الكثبان الرملية المتحركة. تتنوع الصور الموجودة بين صور لعمليات رعي الأبقار وسط مروج ضخمة، وصور لخيول، ونقوش لأنهار وحدائق غناء، وحيوانات برية، ومراسم دينية، وبعض الآلهة القديمة. ولكن لو اقتصر الأمر على ذلك، لما كان هذا الكشف بالأهمية نفسها التي يحظى بها الآن، وذلك لأن هناك رسومات أخري أهم وأخطر تظهر مجموعة من البشر يرتدون ملابس غريبة تشبه ملابس رواد الفضاء، وملابس أخري شفافة غير مألوفة، إضافة إلي لوحات أشبه بسفن الفضاء، وأخرى أشبه بطائرات غريبة الشكل، وأناس يسبحون وسط هذه الطائرات داخل فضاء ربما يمثل مدينة ضخمة شديدة التطور.

وهناك كهوف تادرارات الأكاكوس،[٢٣] وهي تشكيل سلسلة من الجبال في الصحراء الكبرى في غرب ليبيا ومن المعروف تواجد لوحات صخرية تعود إلى ١٢.٠٠٠ قبل الميلاد واللوحات تعكس البيئة المتغيرة في الصحراء وتعكس المناخ والرطوبة قبل تسعة آلاف سنة في المنطقة المحيطة كانت خضراء مع البحيرات والغابات ومع قطعان كبيرة من الحيوانات البرية كما يظهر من اللوحات الصخرية ومن امثلة هذه الحيوانات الزرافات والأفيال والنعام. وكالعادة تُمثل الحيوانات الموضوع الأكثر شيوعًا في لوحات ما قبل التاريخ، بالرغم من أن الفنانين القدماء رسموا البشر أيضًا. وفي بعض لوحات الكهوف ظهرت الحيوانات وهي مطعونة بالسهام أو الحراب، والبعض الآخر فيه أشكال آدمية تقف بالقرب من الحيوانات التي تم قتلها. وعلى الأشكال الآدمية ملبوسات تبدو ذات علاقة بطقوس السحر. ولقد وجدت معظم هذه اللوحات على الجدران وسقوف الكهوف.

٣ـ الكهوف في بلاد الشام

حالت طبيعة جغرافية بلاد الشام دون سهولة دراسة بيئتها، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، كان لتشعب واختلاف طبيعة العقائد الدينية في العصور التاريخية ما أدى إلى تنوع وتعدد العقائد الفكرية وعدم التركيز علي أمر بعينه دون سواه من مظاهر الطبيعة، ومن ثَمَّ فإن دراسة ما عُثر عليه من كهوف في بلاد الشام، من الصعوبة بمكان بحيث يصعب فيها الاعتماد على الاستقراء كما كان عليه الحال في مصر.[٢٤] ومن أهم الكهوف التي عُثر عليها:

١/٣- كهف جبل قفزة - فلسطين

في مغارة قفزة وهى واحدة من أهم مغارات وكهوف بلاد الشام، عُثر على العديد من الدفنات الهامة، والتي كان من بينها دفنه لامرأة شابة وطفلها. كان الطفل نائمًا برأسه علي صدر أمه، وبين ذارعيه، عُثر على هيكل عظمي لغزال صغير.[٢٥] ولعل في هذه الدفنه إشارة إلى وجود رمزية روحية، وقيمة وأهمية لهذا الحيوان لدى سكان بلاد الشام في العصر الحجري القديم الأوسط.[٢٦] ولا شك أن العثور علي مثل هذه الدفنه يؤكد أيضًا على وجود نوع من العبادة الحيوانية – لو صح التعبير- خلال هذا العصر. وعُثِرَ في مغارة قفزة أيضًا على مقبرة بشرية تحوي (١٢) جثة نياندرتالية أُرِّخَتْ بحدود ٥٠,٠٠٠ سنة؛ وكانت الجثث لسته بالغين وسبعة أطفال، مما يعني دلالة لها معناها الاجتماعي والروحي.

وكان لكهف قفزة ثقله وأهميته، إذ عُثر عللا عظام حيوانية كثيرة في جميع مستويات الكهف، مختلطة في أكثرها ببقايا عظام آدمية، ولا ندري أكان الخلط ناتجًا عن العبث، أم تكرار السكن في الكهف، أم أنه كان مصادفة، أم هو دفنات مقصودة.[٢٧] ولقد أدى هذا الخلط بين البقايا العظمية الآدمية والحيوانية بالعديد من الكهوف، إلى محاولة تفسير دور الكهف في حياة إنسان هذا العصر، وتفسير سبب وجود مثل تلك البقايا العظمية الحيوانية به، فرأى البعض أنه ربما كان الإنسان يعيش في الكهف، ثم يدفن موتاه فيه – أي أن الكهف كان يجمع ما بين عالم الدنيا وعالم الآخرة- وأن الكهف كان أيضًا الملاذ والملجأ للعديد من الحيوانات ولا شك أن فلسطين وسوريا كانتا مليئتين بالكهوف والمخابئ التي كانت تنتشر في أجزاء مختلفة، فهي استعلمت كمزارات وأيضًا كمحلات لسكنى الإنسان.[٢٨]

٢/٣- كهف الديدرية - سوريا

يقع هذا الكهف في واد يحمل الاسم نفسه في منتصف الانحدار ما بين نهر عفرين وجبل ليلون، وهو يرتفع عن سطح البحر بنحو (٤٥٠ م). تم العثور على سبعين قطعة عظمية من أجزاء هيكل عظمي لإنسان النياندرتال (من العصر الحجري القديم الأوسط)، يشبه ذلك الذي وجدت عظامه في كهف (شانيدار في شمال العراق). ولقد عُثر أيضًا في الكهف على اثنين من المفاجآت؛ المفاجأة الأولى كانت في موسم تنقيب ١٩٩٣ حينما عُثر على هيكل عظمي كامل لطفل يبلغ من العمر عامين، وهو في وضعية توحي بعملية دفن بدائية، وكان ذلك الهيكل هو الأكمل لإنسان نياندرتال في العالم. وقد قدر العلماء عمر العظام بحوالي ١٠٠ ألف سنة. أما المفاجأة الثانية فقد كانت في موسم تنقيب ١٩٩٩ حيث عثرت البعثة على هيكل عظمي لطفل نياندرتالي آخر، لم تظهر- بعد- المعلومات التفصيلية عن عمره وتاريخ وفاته، وبعد أن بانت هذه الأهمية الكبيرة للكهف، وضعت البعثة أبوابا حديدية على بابي الكهف، واعتبر من المواقع الأثرية النادرة وبالغة الأهمية في العالم.[٢٩]

٣/٣- مغارة السخول - فلسطين

وهو كهف يقع إلى الجنوب من الطابون، على بعد حوالي (٢٠) كم جنوب مدينة حيفا، وحوالي (٣) كيلومتر من البحر المتوسط. تعتبر مغارة السّخّول من أصغر مواقع ما قبل التاريخ، في فلسطين، وهي تقع على السفح الغربي لجبل الكرمل، وهي قائمة على الجانب الشرقي للوادي، على بعد ١٠٠م من مغارة الوادي، يأخذ المدخل شكل بيضاوي، ويبلغ اتساعها حوالي (١١) متر، أعلى الوادي.[٣٠] وقد نقِّبت فيه في الثلاثينات دوروثي گارود.و وُجدت فيها طبقات تعود إلى العصر اللقلوازي - الموستيري، لكن الكشف الأهم هو المقبرة، الأولى من نوعها من هذا العصر، التي ضمت أربعة عشر شخصًا، يافعين وأطفال، دُفنوا بعناية في حفر منتظمة وبوضعية مثنية؛ أحد الموتى يحمل آثار قطع في الفخذ. وقد دلت الدراسات على انتماء هذه الهياكل إلى نوع الإنسان العاقل الباكر (Early Modern Human) المؤرخ من نحو ١٠٠ ألف سنة خلت، وهذا أقدم ظهور لهذا الإنسان خارج القارة الأفريقية.

عُثر في هذه المغارة علي دفنة أدمية ومعها جمجمة ثور، موضوعه بين ذراعي المتوفي وتؤرخ تلك الدفنة بالعصر الحجري القديم الأوسط،[٣١] هذا بخلاف العثور على هياكل عظمية في مقبرة جماعية، تراوحتْ أعمارُ موتاها بين (٣-٥٠) سنة. ولوحظ أنه لم توجد مرفقات جنائزية مع الموتى، إلا مع أكبرهم سنًّا، حيث كان يقبض بيده على عظم فكٍّ علوي لخنزير بري وربما يدل هذا على وجود أو تبلور بداية مفهوم للسلطة أو القيادة عند النياندرتاليين.[٣٢] ولوحظ أن مدافن الرجال والأطفال عندهم تفوق عددًا مدافن النساء.[٣٣] وربما عبر وضع أحد الأجزاء الحيوانية مع الموتى، عن كونه قربان نذري قُدم طمعًا في حماية الموتى للأحياء، ولتحقيق النجاح في الصيد، فكان ذلك دليلاً على رسوخ فكرة الحياة الأخرى التي آمن بها إنسان النياندرتال فبدأ بتزويد الموتى بالأسلحة والعظام الحيوانية، وطلاءها بالمغرة الحمراء رمز الدم الذي يُعَدّ بالتالي رمز للبعث والحياة.[٣٤]

ولقد أدى هذا الخلط بين البقايا العظمية الآدمية والحيوانية بالعديد من الكهوف، إلى محاولة تفسير دور الكهف في حياة إنسان هذا العصر، وتفسير سبب وجود مثل تلك البقايا العظمية الحيوانية به[٣٥]، ويري (Cooper) أن الكهف – بوجه عام – كان بمثابة قلب العالم ومركزة - رحم الأرض - مكان التقاء واتحاد الروح بالجسد، وهو المكان الذي يتقابل فيه المقدس، بالآدمي، وهو مكان ميلاد الآلهة وهو المكان الخفي المقدس بينما يري (Heyden,H.,) أن الكهف هو موضع السكني والدفن، وقد يكون أيضًا بمثابة مزار يتم فيه أداء بعض الطقوس الدينية لو صح التعبير، وهو كذلك موضع أرواح الحيوانات وربما أقيمت فيه طقوس جنائزية اشتملت علي نوع من التقدمات الحيوانية، ومن ثم فقد رأي بعض الباحثين أن الكهف يُعَدّ نموذجًا لحياة إنسان الباليوليتي وكان له بمثابة عالم صغير، رمز إلي الحياة والموت معًا، وبالتالي كان له أهميته التي لم تتوقف عند حدود العصر الحجري القديم بمراحله، بل تعدته زمنيًا.[٣٦]

ومما سبق يتبين؛ أن أنسان النياتدرال هو أول من دفن موتاه، وهذا أنما دليل على تكريم الأنسان للإنسان، وزودة بالمرفقات الجنائزية كالسكاكين والأدوات الصوانية والحجرية وأدوات الزينة والعظم المصنع باعتقاد أنه سينتفع بها في ما بعد الموت (البعث)، وتُعَدّ مغارة السخول من الأمثلة الحية على طرق الدفن التي مارسها الإنسان القديم.[٣٧] وكان الهدف من تقديم هذه القرابين هو ما يلى:

١. وسيلة اتصال مع أرواح الأجداد والأنسان.
٢. أن تكون روح الميت مرتبطة مع روح ما يتم ذبحه.
٣. تعتبر القرابين وسيلة تقرب من الآلهة والقوى الخارقة ذات العلاقة بالمعتقد السحري.[٣٨]

هذا بخلاف الاهتمام بدفن جماجم الموتى فيما يسمى بعبادة الأسلاف أو الأجداد (عبادة الجماجم)، على اعتبار أن هذه العبادة تعنى بعبادة الأسلاف القائمة على الخوف من الأنسان الحي على اعتباره أنه مصدر السيطرة السياسية، أما الخوف من الميت فهو مصدر للسيطرة الدينية وكان الهدف الذي رمت إليه عبادة الأسلاف هو التجمع والتماسك حول مركز روحي معين وذلك باعتبار أرواح الموتى من الأمور المقدسة.[٣٩] ولسنا بصدد الحديث عن عبادة الاسلاف أو عادات الدفن، وإنما فقط أود الإشارة إلى أن هذا وذاك كان قد عرف وتم ممارسته بالكهوف، وأن الكهوف كانت تشكل حلقة الوصل بين عالم الدنيا وعالم الاخرة.

٤ـ الكهوف في العراق

حضارة بلاد النهرين القديمة هي أقرب ما يقرن بحضارة النيل، من حيث القدم والثراء والطابع المتميز واستمرار التطور في مجالات الفكر والمادة. وقد حوت ارض الرافدين كهوف عده كان منها:

١/٤- كهف شانيدار – العراق

هو كهف قديم من عصور ما قبل التاريخ يقع في شمال العراق في منطقة إقليم كردستان. يقع كهف زاوي شيمي شانيدار علي نهر الزاب العظيم شمال العراق: يبعد حوالي ٤ كم أسفل كهف شانيدار على المدرجات النهرية، ويؤرخ هذا الكهف بحوالي (٨٩٢٠ ± ٣٠٠ ق.م).[٤٠] وقد تمّ التنقيب عن الكهف بين عامي (١٩٥٧-١٩٦١) من قبل رالف سوليكي (Ralph Solecki) وفريقه من جامعة كولومبيا وأثمر عملهم عن الهياكل العظمية النياندرتالية البالغة الأولى في العراق العائدة إلى ٨٠,٠٠٠ سنة قبل الميلاد.[٤١] ولقد نتج عن التنقيب في هذه المنطقة تسع هياكل عظمية نياندرتالية لأعمار مختلفة وفي حالات مختلفة من الحفظ والكمال وحُفظت وصنفت حسب الأرقام من (شانيدار١)[٤٢] – (شانيدار ٩). أما الفرد العاشر أُكتُشِفَ مؤخرًا وقد كان هذا النياندرتال العاشر مدفونًا وفق مراسم جنائزية.[٤٣]

وقد كان الاهتمام بدفن الحيوانات لاسيما الماعز قد وضح في بلاد الرافدين منذ العصر الحجري الحديث، ففي كهف زاوي شيمي شانيدار[٤٤] عُثر على دفنه هامة وملفته بالنظر، اشتملت على عظام حيوانية وجماجم لحوالي خمسة عشر واحدة من الماعز، بخلاف عظام وريش لنسور وصقور بلغت حوالي سبعة عشر طائر، فصلت تلك العظام بعناية شديدة ورتبت بوضعية مقصودة،[٤٥] ولاشك أن في الاهتمام بدفن النسور والصقور مع جماجم الماعز، ما يدعوا إلى التساؤل، فكيف استطاع سكان هذا الموقع أن يتمكنوا من الاحتفاظ بمثل هذا العدد من الطيور الضخمة الجارحة، وبمثل هذا العدد من الحيوانات معًا في الوقت نفسه؟ وما هو الغرض من وراء تكلف مثل هذا العناء لإتمام تلك الدفنه؟ فلا شك أن لذلك الأمر مغزاة الطقسي الجنائزي[٤٦] الذي حاول بعض الباحثين تفسيره، فربطوا بين تلك الدفنه، وبين الارتباط بطور الموت والعالم الأخر ويتفق في ذلك كلا من كوفان، وميلارت وشتريكا إذ ربطوا ما بين النسر وطور الموت والعالم الأخر، كأحد أطوار الآلهة الأم.[٤٧] وفي شمال شرق العراق بكهف بالجاورا الذي يؤرخ بالعصر الحجري القديم، عُثر على بقايا عظمية لكلاب مستأنسة، اشتملت تلك البقايا العظمية علي جمجمة واحدة وحوالي سبعة عشر فك لكلاب مستأنسة تبين أنها ترجع لحوالي (١٢.٠٠٠)،[٤٨] هذا وتوضح تلك الدفنات مدي العناية والاهتمام اللذين قد حظيا بهما الكلب، باعتباره حيوانًا مقربًا، ورفيقًا لصاحبه، ومن ثَمَّ عمل على دفنه آنذاك.[٤٩]

٥ـ نماذج من كهوف أخرى في العالم القديم

عُثر على العديد من الكهوف في شتى أرجاء العالم، وفي بعض الكهوف وُجدت عظام بشرية جنبًا إلى جنب مع عظام الحيوانات المتحجرة، وفي القرن العشرين اتفق معظم الخبراء على أن ذلك يمثل دليلاً على أن الإنسان عاش في الكهوف في عصور ما قبل التاريخ. ومنذ ذلك التاريخ اكتشف العلماء الكثير من المخلفات التي ساعدتهم على جمع تفاصيل حياة الإنسان القديم.

هذا بخلاف أن ما سجلة الإنسان على جدران الكهوف الكثيرة سواء الموجودة منها في فرنسا أم إسبانيا تبعث الدهشة وتثير الخيال لاحتوائها على رسوم منفذة بضغط الأصابع فوق الطين اللدن بالإضافة إلى النحت البارز والمجسم والتصوير بالألوان والزخارف الجميلة المنفذة على قطع العظام والعاج والأحجار كما اكتشف العلماء أيضًا مجموعة من الأدوات التي كان يستخدمها الإنسان. وقد عُثر فيه على العديد من التصاوير الجدارية في كهوف عدة أيضًا من العالم كان أهمها كهف لاسكو، وكهف ألتاميرا. ويمتاز فن ما قبل التاريخ الأوربي بأنه متصل بحياة الإنسان داخل الكهوف، وأن التصوير كان يظهر على جدران الكهوف وكانت له مناطق معينة أهمها بعض الكهوف في جنوب إيطاليا ومعظم جبال فرنسا وإسبانيا. ومن أشهر حفائر ما قبل التاريخ في فرنسا الحفائر التي تمت في المنطقة البارلسية وفي إسبانيا والمغرب، ومن أهم الحيوانات التي صورها الإنسان في هذا العصر الفيل القديم (الماموث)، وكذلك أنواع من البقر البرى والخيول المتوحشة وحيوان الرئة وبعض الحيوانات المفترسة كالأسد وبعض الطيور والزواحف والأسماك.[٥٠]

١/٥- كهف ألتاميرا

يقع كهف "التاميرا" جنوب منطقة سانتاندار، شمال غرب إسبانيا، وهو من بين الكهوف النادرة في العالم، وقد عُثر فيه على العديد من التصاوير الجدارية في كهوف عدة من العالم كان أهمها كهف "التاميرا" الذى يعتبر من بين الكهوف النادرة في العالم التي تعود إلى آلاف السنين. ويحوي الكهف رسومًا صخرية يعود عمرها إلى ما يقرب الـ ١٤.٥٠٠ عام.[٥١] وشكل الكهوف هو الشكل المعتاد، مغارة طويلة ودائرية الشكل تبدأ من ببوابة تم إنشاؤها لحماية الأثر وأماكن للحراسة، وعند الدخول تبدأ الرحلة مع آثار الرسوم والنقوش على الجدران المحيطة بالزائر. وتمّ اكتشاف هذا الكهف،

من قِبَلِ صياد عن طريق الصدفة، نظرًا لوجوده على البحر الشمالي لمنطقة "سانتيانا دال مار" في سنة ١٨٦٨، وهو يضم أكثر من (٢٦٠) رسًما ونقشًا صخريًا تعود مجملها إلى العصر الحجري. ويضمّ في الأساس رسومات ممثلة للحيوانات، ورموزًا تجريدية لا تزال معانيها غير معروفة إلى الآن، ويتكون كهف "التاميرا" من مجموعة كهوف متداخلة ومعقدة، وذات عمق داخل الأرض. ودون اعتبار الكهف الرئيس الّذي يؤدي إلى مسالك أخرى، فإنّ عدد سلسلة كهوف "التاميرا" تعدّ حوالي (١٧) كهف، تحتوى كلها على رسومات وأشكال، رسمها الإنسان ليعبر من خلالها عن يوميّاته وما كان يعيشه من أحداث.

٢/٥- كهف لاسكو

يقع في جنوب غرب فرنسا وبه عُثر على كثير من لوحات الكهوف الأكثر إثارة للأعجاب وشهرة في فرنسا،[٥٢] وتقدر اللوحات منذ ١٧.٠٠٠ عام واللوحات مرسوم عليها بعض الحيوانات مثل الثيران والخيول والغزلان. وتُعد لوحات الكهوف من الأعمال الفنية المبكّرة، وقد بدأت العناية بالفن منذ العصر الحجري القديم، وتم اكتشاف الكثير من لوحات الأيائل. تُمثل الحيوانات الموضوع الأكثر شيوعًا في لوحات ما قبل التاريخ، بالرغم من أن الفنانين القدماء رسموا البشر أيضًا. وفي بعض لوحات الكهوف ظهرت الحيوانات وهي مطعونة بالسهام أو الحراب، والبعض الآخر فيه أشكال آدمية تقف بالقرب من الحيوانات التي تم قتلها. وعلى الأشكال الآدمية ملبوسات تبدو ذات علاقة بطقوس السحر. ولقد وجدت معظم هذه اللوحات على الجدران وسقوف الكهوف، وفي أقصى الأجزاء الداخلية منها حيث لا يمكن رؤيتها إلا إذا استخدم الناس النار للإضاءة. ويعتقد العلماء أن الصيادين استخدموا هذه اللوحات لأغراض الاحتفالات الدينية. وربما مُورست هذه الطقوس والشعائر لتساعدهم في صيد الحيوانات المرسومة في اللوحات.

خاتمة

لم يكن العرض السابق إلا بعض من كثير، فالكهوف يصعب حصرها لاسيما وأن كل يوم هناك الجديد في هذا المجال، وقد قصدت هنا القاء الضوء على الكهوف وأهميتها باعتبارها مرحلة أولى في حياة الانسان الذى جعل من الكهف حياه بكل ما تعنيه الكلمة. فقد عاش فيه حياته ومارس فيه طقوسه وعباداته ثم دفن فيه وذلك كما ثبت من خلال العديد من الكهوف. وقد جعل الإنسان الأول من جدران الكهف صفحات نقرأها بغير كتابه من خلال ما خلفه من صور ورسوم عبرت عن حياته بكل جوانبها. وهكذا؛ يعتبر ما قبل التاريخ مرحلة في حياة كل أمة يستمد منها المؤرخ معلوماته سواء من الآثار التي خلفها الإنسان أو التي تركتها هذه الأمة فيما عدا الكتابة، إذ بمجرد ظهور المعلومات المكتوبة ينتهى عصر ما قبل التاريخ وتبدأ العصور التاريخية.

النتائج

- شكلت الكهوف خطوة هامة في حياة الإنسان البدائي، إذ مثلت بالنسبة له السكن والسكينة، فقد عاش فيها ومارس فيها حياته بكل صورها، واتخذ من جدرانها صفحات عبر فيها عن نفسه برسوم متنوعه وإشارات مختلفة، ثم دفن فيها لتصبح مثواه الأخير.
- كانت أكثر الأفكار المتداولة في رسومات الكهوف هي الحيوانات الوحشية كالثيران والخيل والأرخص (ثور بري أوروبي) والغزلان ونسخ أيدي البشر.
- يمكن تفسير رسومات الكهوف بكونها حيلة صيد، والغرض منها زيادة عدد الحيوانات وذلك اعتمادًا على طبيعة فكر وحياة المجتمعات البدائية.
- كانت رسومات البشر نادرة وعادة ما أشبه برسومات تجريدية غير دقيقة عكس الصور الطبيعية للحيوانات، وربما كان الرسم الواقعي للإنسان محرم طبقًا لمحظور ديني قوي آنذاك.
- كانت الأشكال البشرية أكثر شيوعًا في الفنون الصخرية الموجودة في أفريقيا مقارنة بأوروبا.
- من رسومات الكهوف المعروفة جدًا كهف (لاسكو- فرنسا، كهف بيتش ميريل بالقرب من بلدية فرنسا، كهف (شوفيه) بالقرب من بلدية فرنسا، كهف مع مدخل من تحت البحر بالقرب من مرسيليا-فرنسا، كهف (ألتميرا بالقرب من بلدة التاريخية- كانتابريا- إسبانيا).
- في كهوف (لاسكو) بفرنسا والتي اكتشفت بالصدفة سنة ١٩٤٠. وجدت رسومات تعتبر أميز ما عرف من فن ما قبل التاريخ. وهذه الكهوف كانت تستخدم كقنوات مائية جوفية تمتد ما بين مئات إلي ٤٠٠٠ قدم. وفوق جدران هذه الكهوف رسم ونقش الفنانون الصيادون صورًا للحيوانات كالماموث المنقرض حاليًا والثيران التي لم تُعَدّ حاليًا موجودة في أوروبا وغزال الرنة والحصان. وكانوا يستعملون مشاعل من الحجارة لها فتائل من الطحالب تشتعل بالنخاع العظمي والدهون لتنير ظلمات الكهوف.
- في معظم المجتمعات القديمة الكبرى كان الإنسان تعرف هويته من خلال الأشكال الفنية التعبيرية التي تدل عليه كما في نماذج ملابسه وطرزها و زخرفة الجسم وتزيينه وعادات الرقص . أو من العادات الاحتفالية أو الرمزية العقائدية التي كانت تتمثل في الطوطم (الرمز) الذي يدل علي قبيلته أو عشيرته. وكان الطوطم يزخرف بالنقش ليروي قصة أسلافه أو تاريخهم. وفي المجتمعات الصغيرة كانت الفنون تعبر عن حياتها أو ثقافتها. وكثير من الشعوب كانت تتخذ من الفن وسيلة لنيل العون من العالم الروحاني في حياتهم.
- وضح دور الكهوف أيضًا في بلاد الشام والعراق، بل كان لها الدور الأهم إذ عُثر في أغلبها على دفنات ليس فقط آدمية بل

وحيوانية، وفي ذلك إشارة إلى الدور الديني أو العقائدي الذى لعبته.

- كان التحول من حياة الكهوف إلى الحياة المدنية أو الحضرية هو الخطوة الثانية التي مر بها الإنسان الأول في عصور ما قبل التاريخ، وكان أقدم بيت مبني بالطين المجفف والخشب ومغطى بالأغصان والفروع كان قد اكتشف في المربيط (سورية) إذ يعود إلى عشرة آلاف عام.

الهَوامِشُ:

(1) Lewis-Williams, David. The Mind in the Cave. 2002, p.1.

(٢) عاش إنسان نيندرتال في أوروبا وآسيا الغربية (المساحة الممتدة من إسبانيا وحتى أوزبكستان في فترة تزامنت مع العصر الجليدي الذي شاب معظم ارجاء أوروبا وآسيا قبل مائتان وثلاثون ألف سنة وأحدث الدراسات كشفت عن وجود هذا الإنسان في فلسطين وليبيا بالقرب من بلدة بلغراي تؤكد معاصرة هذا الإنسان للإنسان المعاصر؛ بيتر فارب، **بنو الإنسان**، بترجمة زهير الكرمي، "عالم المعرفة" ٦٧، الكويت، ١٩٨٣.- وعن ظهور الجنس البشرى، راجع:- وليام هاولز، **ما وراء التاريخ**، مترجم، القاهرة، ١٩٦٥، ص١٩- ٣٨.

(٣) انظر: "**عقائد الدفن وعبادة الأسلاف فيما قبل التاريخ في الشرق الأدنى القديم**" في كتاب الملتقى الثالث لجمعية الآثاريين العرب/ الندوة العلمية الثانية، القاهرة ٢٠٠٠، ص١- ٥٦.

(٤) عن النار راجع؛ باسم محمد سيد، **النار في الحضارة المصرية القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٩.

(٥) عن عبادة الأسلاف راجع؛ مي نديم الحايك، **عقائد الدفن وعبادة الأسلاف في بعض مواقع شرق البحر المتوسط في عصور ما قبل التاريخ – دراسة أثرية انثروبولوجية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٦.

(٦) عن عبادة الربة الأم راجع؛ أشرف زكريا سيد شحاته، **تماثيل ورموز الأمومة في مصر وبلاد الشرق الأدنى القديم في عصور ما قبل التاريخ**، ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٦.

(٧) جاك كوفان، ديانات العصر الحجري الحديث، دمشق، ١٩٨٨، ص ٧٥.

(٨) Davis ,W., "The study of rock art ", in: Robertshaw, P., A history of African Archaeology, London , 1990, pp. 271- 272.

(9) Linseele, V., Van Neer, W., "Faunal remains from the Tree Shelter site. In :Vermeersch, P.M. (Ed.), A Holocene Prehistoric Sequence in the Egyptian Red Sea Area: The Tree Shelter". Egyptian Prehistory Monographs 4, (2008): pp. 79–84.

(10) Camps, G., "Les Civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara, Beginnings of pastoralism and cultivation in North-West Africa and the Sahara", Origins of the Berbers, CLARK, J. D. (Ed.), The Cambridge History of Africa 1, Paris, (1982), pp.548–623.

(11) Smith, P.E.L., "Problems and Possibilities of the Prehistoric Rock Art Africa" northern of African Historical Studies, Vol.1, (1968), pp. 14-15.

(12) Lurker, M. , The Gods and Symbols of Ancient Egypt, London, 1980, 46.

(13)http://www.toutankharton.com/article1263,1263

(١٤) أحمد على اسماعيل، **البيئة المصرية**، القاهرة، ١٩٩٥، ٧٢ – ٧٣.

(15) Said , R. , The Geology of Egypt , New York , 1962 , 11; Fakhry, A. , The Oases of Egypt , I , Siwa *Oasis* , Cairo, 1973 , 10.

(16) Butzer, K. W. , op. cit., 1235.

(١٧) عن الرسوم والنقوش الصخرية في مصر راجع؛ خالد سعد مصطفى درويش، **الرسوم والنقوش الصخرية في الجلف الكبير والعوينات بصحراء مصر الغربية في عصور ما قبل التاريخ**، رسالة دكتوراه غير منشورة، القاهرة، ٢٠١٣، ص٣٧.

(١٨) للمزيد راجع: سعد عبد المنعم بركة، **الرسوم الصخرية بالصحراء الكبرى في العصر الحجري الحديث**، دراسة في الانثروبولوجيا الثقافية، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٣.

(١٩) خالد سعد مصطفى درويش، مرجع سابق، ص ١٥٥.

(٢٠) كان لاختلاف طبيعة البيئة المصرية ما أدى إلى اختلاف كيفية التأقلم مع الحياة في مصر فيما قبل التاريخ، إذ كانت الكهوف بالنسبة للمصري القديم خطوة لم تستمر طويلاً.

(٢١) خالد سعد مصطفى درويش، مرجع سابق، ص ١٥٤.

(٢٢) المرجع نفسه، ص ١٥٥-١٥٦.

(٢٣) عن تادرارات اكاكوس انظر: فابرتشيو مورى، تادرارات أكاكوس – **الفن الصخرى وثقافات الصحراء قبل التاريخ**، مترجم، الجماهرية العربية الليبية، ١٩٨٨.

(24) Tutundzic, s.p., "remarks on the origin and date of subterranean constructions at Maadi" in: D .E, vol .38, 1997, p .104; Perez –largocha, a.,"the early relationships between Egypt and Palestine" in *:A.S.A.E* , vol.73, 1998, P.102 .

(25) Campboll , J. , primitive my theology , London , 1878 , P. 342; Dastugue ,T. , "pieces - pathologiques de la " Necropole " Mousterienne de Qafzeh" in: palérient , Vol , 7/1 , 1981 ,p.135.

(٢٦) أحمد سعيد، "**نشأة الديانة ما بين الترحال والاستقرار خلال العصور الحجرية في بعض بلاد الشرق الأدنى**": مجلد مؤتمر التراث والحضارة الخامس عشر لليونسكو، المنعقد في سوريا – مارس ٢٠٠٠، ص ١٢٠ - ١٢١.

(27) Stekelis ,M., "El – Qafza cave" in: Encyclopedia of Archaeology excavations in the holy- land, land, Vol. 4, Oxford, 1978, P. 961.

(٢٨) سعدي الرويشدى، الكهوف في الشرق الأدنى، سومر، ج(١ ، ٢)، ١٩٦٩، ص ٢٥٩ – ٢٦٠.

(29) www.tirejafrin.com.

(٣٠) مى نديم الحايك، مرجع سابق، ص٣٢.

(٣١) سالم سليمان العيسى، **السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين، وسورية الشمالية**، دمشق ١٩٩٩، ص١٢١، مي نديم الحايك، ص ٣٢-٣٣.

(32) Clark, G., prehistoric societies, New York, 1968, P. 68; Anati, E., 1963, p.101; Clark, G., world prehistory in now perspective, London, 1977, p. 38.

(٣٣) عن الدفنات الحيوانية في بلاد الشام راجع: زينب عبد التواب رياض، **الدفنات الحيوانية في مصر والعراق وبلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ والعصور المبكرة**، دار الحكمة، القاهرة، ٢٠١٤.

(٣٤) زينب عبد التواب رياض، مرجع سابق، ص ١٤٠.

(35) Cooper, T.C., an illustrated Encyclopedia of traditional symbols, London, 1978 ,p .31.

(36) Cooper, T.C., op. cit., p. 31; Heyden , H., " Caves" in: *Enc.* , *of Reli* , *Vol* . 3, p. 128 – 130.

(٣٧) ميسون الحوراني، **الطقوس والمعتقدات في العصر الحجري الحديث في الشرق الأدنى القديم (حوالي ٨٥٠٠- ٤٥٠٠ ق.م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ١٩٩٨، ص١٩.

(٣٨) المرجع السابق، ص٢٥.

(٣٩) جاك كوفان، **ديانات العصر الحجري الحديث في بلاد الشام**، (ترجمة) سلطان المحيسن، دار دمشق: سوريا ١٩٨٨؛ ص٧٥.

(40) Mellaart, J., "the earliest settlements in western Asia" in *C.A.H* , vol. , 1-2 ,p.4; Redman, C.L., Op. Cit., P. 133.

(41) Solecki, R.S., Shanidar IV, a Neanderthal Flower Burial in Northern Iraq, Science, vol. 190, 1975, pp. 880-881.

(42) Stewart, T.D., The Restored Shanidar I Skull, Smithsonian Institution Annual Report for 1958, pp. 473-480, 1959.

(43) Sommer,J., The Shanidar IV 'Flower Burial': a Re-evaluation of Neanderthal Burial Ritual, Cambridge Archaeological Journal, vol. 9(1) , 1999, pp. 127-129.

(44) Solecki, Ralph S. (1954). "Shanidar cave: a paleolithic site in northern Iraq*". Annual Report-of the Smithsonian* Institution (Smithsonian Institution). pp. 389–425.

(45) Solecki , R.L., "Predatory Bird rituals at Zawi chemi shanidar" in: Summer, vol.33, 1977, p.42,44; Charvàt, p., mesoptami before history, London 2002, p.4-6.

(46) Solecki, R.L., op.cit., p.44.

(٤٧) جاك كوفان، **ديانات العصر الحجري الحديث في بلاد الشام**، ص٧٦.

(48) Clutton – Brock, J., domesticated: from early times, London, 1981 ,p.42; Bokonyi, S., Op.cit., p.317; Clark, T., "The dogs of the Ancient near east": in: Brewer, D., and Clark, T., Dogs in Antiquity, P. 49.

(49) ليوا وينهايم، **بلاد ما بين النهرين**، مترجم، بغداد، ١٩٨١، ص ٥٨ – ٥٩.

(50) Berglund, B. E., «Agrarian Landscape Development in Northwestern Europe Since the Neolithic: Cultural and Climatic Factors behind a Regional/ Continental Pattern», in A. Hornborg & C. L. Crumley (eds), *the World System and the Earth System, Global Socio-environmental Change and Sustainability since Neolithic* ,USA, 2007, p. 111-120.

(٥١) كلين دانيال، **موسوعة علم الآثار**، مترجم، بغداد، ١٩٩٠، ص ١٥١.

(52) Klein, R. 2000. "Archaeology and the evolution of human behavior." Evolutionary Anthropology, 9:17-36.

الملاحق

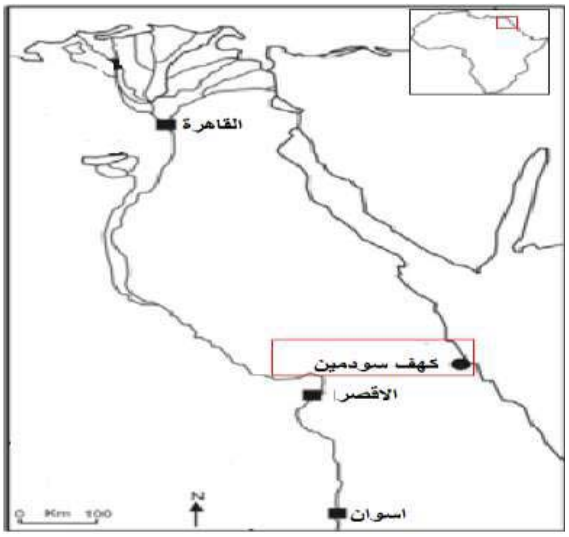

خريطة رقم (١)

موقع كهف سودمين في الصحراء الشرقية

صورة رقم (١)

جزيرة القرن الذهبي شمال بحيرة قارون في الفيوم

صورة رقم (٢)

نموذج من صور كهف السباحين

صورة رقم (٣)

مدخل مغارة السخول في فلسطين

صورة رقم (٤)

جمجمة لأحد اناس كهف شانيدار

Source: Agelarakis A., "Proto Neolithic Human Skeletal Remains in the Zawi-Chemi- Layer in Shanidar Cave". Sumer XL:1-2 (1987–88): 7-16.

صورة رقم (٥)

إعادة تركيب لتخيل شكل إنسان شانيدار بناء على تركيب جمجمته

Source:http://www.smithsonianmag.com/arts-culture/The-Skeletons-of -Shanidar-Cave.html

شكل رقم (١)

رسم تخيلي للإنسان الأول ومحاولته إشعال النار